«بعض الحبّ يكفي» ... ليكون وطناً أبديّاً لعاصمة الروح!

النمسا – طلال مرتضى

لم تكن لتستكين. بيد أنها تحفظ عن ظهر سرّ حجم خساراتها. تُخالبها فوضى الحواس، يدهم روحها نزوح تعدّى الطفرة، ونزوع لا تهمد أصابع حريقه من حدس القبض على كمشة ريح أو عصف لتشعل به حبر القول. إنها الغواية العبثية حين ترمي وعلى دفعة واحدة، كل مفاتيح بيوت شعرها بيَدٍ عابر حبر ماجن، يعرف عن سابق قبلة كيف يسلبها ارتعاشة القفلَة، بعد أنَ أرضعها لبان القصيدة: عابثٌ أنت حبيبي

وأنا طفلتك المشاغبة
هلّا تعلّمني امتشاق الريح
ومراقصة الليل
هلّا تعلّمني لغتك
هل ترسم على جسدي دوائر وفوضى
وتسحق ممانعتي
ترمي الرفض في عتمة لا تبصر نهايتها
هل تمنحني سطور القصيدة
لأنني أضعت الحروف
عند حدود لعابك!

الشاعرة عبير حمدان في منجزها الجديد «بعض الحبّ يكفي» ـ الصادر في بيروت بالتعاون مع «جمعية حواس» الثقافية، تتفلت من قيود القول لترمح نحو تشكيل صوت خاص ـ صوتها ـ بعيداً عن توسّل منتج الغير، والوقوع في شرك التكرار واللحن، بفعالية تأليفية دافقة بالعفوية إلى حدّ الإفراط، لا تخلو من تمرّد لافت يربك متلقيها في لجّة السؤال ـ ماذا تريد؟ ـ القصدي:

لا ترحل قبل أن أنهي القصيدة
فأجمل القصائد تلك التي يكتبها جسدان
أجمل القصائد تلك التي تنبعث من رحم الانتظار
أجمل القصائد تلك التي تعاقر الجنون
لا ترحل قبل أن أرتدي ثوب أنوثتي
فأجمل أنثى تلك التي ترتدي أنفاس حبيبها!

في شعر الحياة لا حدود للتحليق. لهذا تعرّت «عبير» الشاعرة من كلّ ظنونها ـ إنها صيرورة الشعر العظيم غير المتكلف، بسهله الممتنع:

لأنك حبيبي
أفتح للريح أشرعتي.

لتبني قصيدتها وفق معمار بيانيّ ضاجّ، يترك في متخيّل المتلقّي أثر الشغل، أي أنها تخصّه هو بعينه. لكلّ منّا قصيدته المنتقاة، يشيدها حسبما يرتأي، ليسمو بوجعه نحو مصافي القول، وكأن لسان حالها يقول: لا تصدّقوا كل هذا الشعر، فليس كلّ الرقص طرباً:

احفر على جسدي أيقونة

قد يجد العاشقون رفاتها يوماً
وامض
نحو الغياب
لتجدني في خواطرك
أعبث برجولتك
وأغرق في البكاء.

تماهي الشاعرة مع أناها خلق فعالية حكائية ـ دراما القول ـ كاملة الروئ ـ الأفكار والتصورات ـ شكّلت حضوراً ذهنياً لافتاً، أي لحظة الوعي في القصيدة. بمعنى مزج الفكرة مع الشعر، في جلّ القصائد. وهذا لا يتأتى من فورة عبثية غير متّزنة الحواس، بل تتجلّى مفاتنها في عمق المعاني في الصورة الشعرية، أي دلالاتها، والتي لا تسلم المتلقي بيُسر مضمرها، قبل أن يغمض عينيه لبرهة ليعيش الحالة، أي حالة وعي اللحظة الشعرية. بمعنى تيقّظ الفكرة، وهي أصلها. وهنا لا بدّ من الوقوف والتبيان بين لحظة الوعي وحالة الوعي، كما أسلفت:

كي أتمايل بكلماتي
على إيقاع العناق
وأنغرس في لعابكمن دون إضافات
من دون تكليف
وبلا حدود
علّني أتقن الرقص
أعتلي هضاب النشوة
مبللة بالدفء
روحي.

على رغم أنّ نصوص عبير حمدان وشت دلالاتها بـ«شمولية وحدتها العضوية» أي متناسبة الشكل والمضمون والأثر، بقيت أسيرة الرجاءات، التوسّل إلى الحبيب المجافي، لتترك في معظم النصوص، ندوبَ انكسار الشاعرة:

ردّ لي غفوتي فقد مللت سواد الغياب!
حرّر توقي لأتنفسك ملء قلبي.
حبّذا لو يبتلعني يمُك ويطوّقني بالمرجان.
هذا الانكسار أسّس لعطش أثيم في الروح، فتركها تكابد اليتم «الأصفر» من دون مجيب:
الصدأ يؤلّف طبقاته
وأنا أحرق أصابعي
بألوان المغيب.

وفي مفازة أخرى من مفازات اليباس صرّحت ملء صوتها:

حتى الأحلام تساقطت كأوراق أيلول
حروفي أضحت صفراء
وصحراء عمري لا تعرف عمق أفقها
ولبست أيامي صفير الخريف.

«بعض الحبّ يكفي»، ليس مجموعة نصوص جمعها عابر حبر، بل دعوة مفتوحة تركتها عبير حمدان طيّ الورق، لغائب قد يأتي:

حينذاك أهبك كل النجوم المنهمرة
على أرصفة المدينة
وأعلنك وطناً أبديّاً
لعاصمة الروح.

فنّانون من لبنان والعالم العربي حلّوا في زوطر الشرقية ريشةً ولوناً

لمى نوّام

في زوطر الشرقية ـ النبطية اجتمعوا. 35 فناناً من لبنان والعالم العربي، وعلى ضفاف نهر الليطاني استقروا، كحبات من اللؤلؤ والمرجان، بدعوة من منتدى «كلّ الألوان» وبلديّة زوطر الشرقية.

تجوّلوا في أرجاء البلدة الجنوبية، مكتشفين خباياها علّها تُلهمهم بأفكار مميّزة تستحيل لوحات. وبعدما تسلّموا عتادهم من ريَش وألوان، بدأوا رحلة الرسم، ليُفتتح سمبوزيوم زوطر الشرَقيةّ، بتوزيع الفنانين إلى قسمين. منهم مَن عمل على رسم جداريات على سور المدرسة الرسمية وسور مبنى البلدية. وآخرون انتقلوا إلى وادي النهر حيث استلهموا لوحاتهم من روح المكان.

«البناء» واكبت فعاليات السمبوزيوم الحدث، وأجرت لقاءات مع المنظّمين وعدد من الفنانين المشاركين.

مدير منتدى «كلّ الألوان» الزميل الإعلامي محمد بندر أكّد أنّ المنتدى عابرٌ للطوائف والمناطق، ويسعى دائماً إلى خلق جوّ من التفاعل والحيوية بين كلّ الفنانين وسائر أطياف المجتمع. إضافة إلى تكريم الفنان كما يليق. وتجربة المنتدى في هذا الإطار جعلت منه رائداً في الفنّ والمجتمع. ودائماً نسعى إلى إشراك شرائح المجتمع في أعمالنا، ما يساهم في اكتشاف المواهب وتنميتها. من هنا كانت فكرة يوم الفرح في بلدة زوطر الشرقية برعاية البلدية، لخلق هذه الحالة التفاعلية بين أهاليها من جهة، ومن جهة ثانية بين الفنانين الذين جاؤوا من لبنان والعالم العربي.

وأضاف بندر: نحن نطمح في منتدى «كلّ الألوان» لأن نعمل على الأفكار الجديدة والخروج عن المألوف في العمل الفنّي. وقريباً سترون هذا على أرض الواقع للنهوض بمجتمعنا نحو واقع مشرق وواعد.

رئيس بلدية زوطر الشرقية الدكتور وسيم اسماعيل قال إنّ القلوب قريبة من بعضها في هذا السمبوزيوم الذي أدخل الفرح والبهجة في قلوب الجميع. «وقد سُررنا كثيراً بمجيء هذه الكوكبة من الفنانين التشكيليين من مختلف المناطق اللبنانية ومن بعض الأقطار العربية، وكنّا فريقاً واحداً مع المنتدى، نؤدّي واجب إسعاد الناس وجمعهم في هذه البلدة الكريمة».

نائب رئيس المنتدى الخطّاط نعمان الرفاعي رسم جدارية استعمل فيها خلفية باللون الداكن، وتداخلت فيها حروفيات بألوان خفيفة تمنح اللوحة زخماً جمالياً.

الفنانة التشكيلية جنان بزّي عبّرت عن سعادتها للمشاركة في هذا اليوم الفنّي الطويل، وأثنت على الاهتمام وحُسن التنظيم اللذين لمسهما الفنانون المشاركون، كما ثمّنت دور البلدية وأهالي البلدة وإدارة المنتدى.

أما الفنانة التشكيلية مريم زعيتر فقالت: مشاركتي تشجيع للفنّ التشكيلي في لبنان، وتشجيع للطلاب الموهوبين في هذه البلدة ولمساعدتهم في تطوير مواهبهم وحثّهم على الرسم وتوسيع خيالهم الفنّي.

الفنان السوري غسان اسماعيل رسم على جدران مدرسة البلدة لوحة جسّد فيها انتشار طلاب هذه البلدة وهم يقومون بتزيين جدران بلدتهم بأجمل العبارات والألوان.

وشاركت الفنانة إيمان النبوش بلوحة حاكت عبرها الطبيعة، وأضفت عليهما النغمة السريالية.

الفنان ياسر الديراني قال: جئنا إلى بلدة زوطر الشرقية بدعوة من منتدى «كلّ الألوان» لنرسم على جدران البلدية وجدران المدرسة، ونضفي جمالاً بألواننا على هذه البلدة الساحرة.

كما شاركت الفنانة التشكيلية سامية الخوري بلوحة جسّدت فيها جمال نهر الليطاني.

وفي ختام اليوم الفنّي الطويل، عرض الفنانون لوحاتهم أمام الجمهور، ثم وُزّعت الشهادات التقديرية على المشاركين.

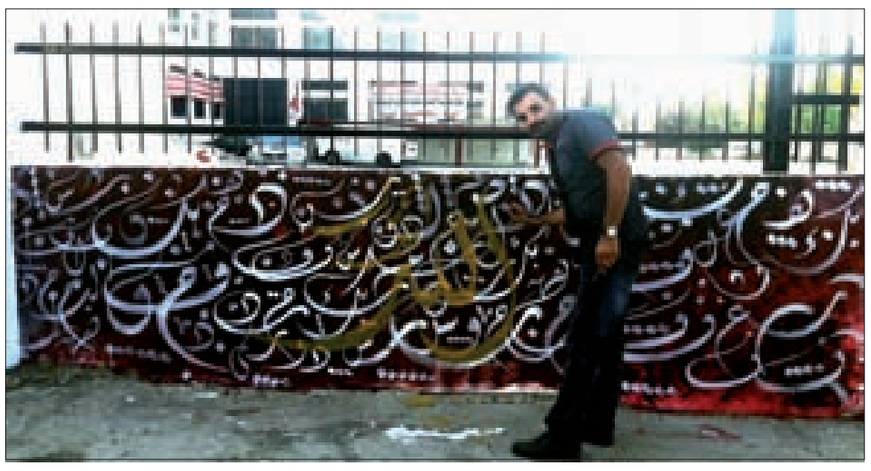

عبّاس كيارستمي... نبع السينما العذب

■ **هدى عمران**

عندما أرى فيلماً لعبّاس كيارستمي، أتذكر دائماً مطلع قصيدة للشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد تقول فيها: «ربما تعني الحياة شارعاً ممتداً تعبره كلّ صباح ودونما انقطاع امرأةٌ ما تحمل خبزها وبيتها في سلة...».

فرخزاد وكيارستمي ينتميان إلى هذه المدرسة الشاعرية نفسها في السينما، التي بدأت في سبعينات القرن الماضي في إيران، والتي اهتمت بالإنسان وتفصيلاته الصغيرة، لا الموضوعات الكبيرة.

لكن كيارستمي تجاوزها بخلق أسلوب يتجاوز أيّ أسلوب أو تقليد متعارف عليه في تاريخ السينما ككل. ففي فلسفته عن السينما يقول كيارستمي إن الحياة تعرض مضمونها برداءة، وإذا كانت السينما صورة من الواقع فهي يجب ألّا تحتوي على الإبهار البصري، وأنه يفضل أن يكون صاحب مضمون من دون أن يهتم بالشكل الذي سيعرض فيه هذا المضمون، هذه الفلسفة جعلت منه فناناً حُرّاً يخلق طوال الوقت بقلب لاعب مرتجل لا يهتم بآراء النقاد أو بحصد الجوائز. هذا ما جعل أفلامه عبارة عن قصائد من الشِّعر العذب لا تسعى إلى طرح أيّ أسئلة كبيرة تخصّ النخبة. فأسئلته دوماً عن الحياة بشكل يجعله يوغل في البساطة ويتعمق فيها، لأكتشف أنا كمشاهد أن هذه هي الحياة بعينها متجسدة على الشاشة.

منذ أيام قليلة وبعد عيد ميلاده الخامس والسبعين بأيام، رحل كيارستمي عن دنيانا، أو سافر كما كان يقول في قصائده: «أنوي السفر مع رفيق جديد، في طريق لم أسلكه من قبل»، مخلّفاً وراءه ثروة من الأفلام التي أخرجها، بلغ عددها 44 إلى جانب كتابة 46 فيلماً له ولمخرجين آخرين، على رغم أنه يعترف أنه لا يكتب الأفلام بالشكل المتعارف عليه في قالب السيناريو، لكن كما يقول إنه لا يملك سيناريوات كاملة للأفلام، فهو يضع مخطّطاً عاماً وفكرة عن الشخصية في ذهنه ثم يبدأ في رحلة البحث عن هذه الشخصية في الواقع ومعايشتها، ثمّ خَلق الشخصية في ذهنه ثم تجسيدها داخل الفيلم. ويقول عن ذلك: «إن أفلامي أقرب كثيراً إلى الشخص الحقيقي من أيّ شيء أحاول خلقه، أنا أعطي لهم شيئاً لكنني أيضاً آخذ منهم».

حتى سيناريو فيلم «البالون الأبيض» الذي كتبه للمخرج الإيراني جعفر بناهي، لم يكتبه بالشكل التقليدي، بل من خلال محاورات طويلة داخل سيارته سجّلها بناهي في مسجّل وفرّغها بعد ذلك ليحصد عليها جائزة «الكاميرا الذهبية» من مهرجان كان، كأفضل فيلم روائيّ أوّل.

بدأ كيارستمي حياته المهنية مصمّم أغلفة للكتب والبوسترات والإعلانات، لكنّه في عام 1970 قرّر التحوّل إلى الإخراج السينمائي، وأسّس قسماً للإنتاج السينمائي في مؤسسة «التطوير الفكري للأطفال»، وأخرج أوّل أفلامه الطويلة «خبز وزقاق»، وأخرج من خلال هذه المؤسسة أيضاً تحفته الرقيقة «أين منزل صديقي؟» 1979. الفيلم الذي أخذ عنوانه من قصيدة، يحكي عن طفل صغير يحاول إيصال دفتر لصديقه في الصف حتى لا يتعرض للعقاب في رحلة ناعمة يعرّض فيها الطفل نفسه للخطر الذي يظهر له متجسّداً في كلب شارع.

بعدئذ، كان فيلم «كلوز آب» 1990 الذي لفت الانتباه العالمي له ووضعه ضمن المخرجين الكبار، ثمّ كانت تحفته الفنية الأجمل، فيلم «طعم الكرز» 1997 الذي نال عنه السعفة الذهبية، يحكي الفيلم عن رجل ينوي الانتحار، يقود سيارته التي يكون معظم الفيلم داخلها يُقِلّ بها في الطريق أشخاصاً يعرض عليهم المال مقابل مساعدته في الانتحار، سيلقي نفسه بالسيارة في حفرة، لكنه يخشى ألا يموت، مهمة الشخص المساعد تتلخّص في أن ينادي عليه بعد أن تسقط السيارة، إن كان حيّاً سيخرجه من الحفرة، وإن كان ميتاً سيردم عليه التراب.

يطرح كيارستمي من خلال هذه الرحلة أسئلتنا الكبيرة حول الحياة والموت، التي تنهزم أمام سؤال صغير جداً يسأله أحد العابرين للبطل: «الموتى لا يستطيعون أكل التوت، ألن تفتقد طعم التوت؟». هكذا هي سينما كيارستمي التي تدرك معنى الحياة الكامن في أشيائنا الصغيرة جدّاً، الصغيرة حدّ أننا لا نراها.

في آخر أفلامه الطويلة «مثل شخص يحبّ» 2013، يحكي عن مدرّس جامعيّ متقاعد يؤجّر فتاة ليمارس معها الجنس، لكنه يجد نفسه متورّطاً في حياتها الشخصية ومع خطيبها الذي يعتقده جدّها. تسير الحكاية في مسارٍ بسيط ليست فيه أحداث درامية كبيرة، وينتهي بلا نهاية تقريباً، تاركاً للمشاهد صناعة حكاية تكميلية ومشارِكاً أياه تساؤلاته، غير مهتمّ بالإبهار أو الاستعراض بالصورة، مركزاً على الإنسان الذي هو موضوعه فقط.

يقول كيارستمي في قصيده له: «إذا كان في أعماق المحيط، نبع، كيف يمكن أن يكون؟»، يبدو كيارستمي هو نفسه ذلك النبع العذب داخل محيط السينما المزخرف بالأحداث والصور، هو النبع العميق المتدفّق بالحكايات والشخوص العالقة بيننا بلا انتهاء.

«كبداية» ... صوَرٌ ضوئيةٌ تعكس حالات إنسانية متنوّعة

شذى حمّود ومحمد سمير طحّان

اختار الفنّانان الشابان جلال الدين جبري وعمار خضور «كبداية» عنواناً لمعرضهما المشترك في التصوير الضوئي الذي أفتتح مؤخراً في المركز الوطني للفنون في سورية.

وضمّ المعرض سبعين لوحة ضوئية نقل من خلالها المصوّران بعدسات كاميراتهما رؤية كلّ منهما الخاصة عبر مواضيع وأساليب مختلفة راصدين حالات إنسانية متنوعة وتفاصيل من حياة الناس.

وقال الدكتور غياث الأخرس رئيس مجلس إدارة المركز الوطني إن إقامة هذا المعرض تهدف إلى إيصال رسالة بأن فنّ التصوير الضوئي الذي يحتل مكانة مهمة في عالم التشكيل البصري ولإظهار أهميته إضافة إلى الاهتمام بالشباب ومواهبهم ورعايتها وتشجيعهم على الإبداع والاستمرار بالعمل الفني.

وأضاف الدكتور الأخرس أنّ كلّ فنّان من المشاركين وضع في عمله من روحه الخاصة. فالفنان جبري جسّد من خلال لوحاته شاعرية جميلة عن طريق استخدامه الأبيض والأسود. أما الفنان خضور فقدّم مشاهداته المتنوّعة لتفاصيل من الجدران في مدينة دمشق بطريقته الفنية الخاصة.

وعن واقع التصوير الضوئي في سورية، أوضح رئيس مجلس إدارة المركز أن هناك كثيرين من المصوّرين المخضرمين والشباب، وأن غالبية صورهم تأتي للتوثيق.

أما الدكتور محمود شاهين عميد كلّية الفنون الجميلة في دمشق فقال: يقدّم المركز عبر هذا المعرض تجربة فنية جديدة ومتميزة تندرج تحت اصطلاح التصوير الضوئي الذي يعتبر من الفنون البصرية الحديثة. مبيناً أن بعض التجارب في هذا المجال أصبحت تضاهي اللوحة من خلال العدسة التي أصبحت أداة للرسم كالريشة.

وعن رأيه بأعمال الفنانَيْن الشابَيْن أوضح شاهين أن كلّ فنان في هذا المعرض أخذ موضوعاً خاصاً به. فالفنان جبري نفّذ أعماله بتقنية الأبيض والأسود التي تعتبر تقنية أساسية في التصوير الضوئي عبر مشاهد حوّلها إلى كادرات معبّرة، جعلها تتماهى بين الواقعية والتجريدية، معطياً فسحة للمتلقي ليفهم ما يريده. فهو لم يقدّم موضوعاً مباشراً وهذا جانب مهم في الفنّ الحديث.

أما بالنسبة إلى الفنان خضور، فرأى شاهين أنه نفّذ أعماله بالألوان الحارة حيث بحث عن أسطح الجدران عبر مشاهداته الموحية. ثم أدخل عدسته على هذه المقاطع وكبّرها وأجرى عليها قطوعات مدروسة، فخرج بمجموعة أعمال يتماهى فيها الواقع بالتجريد تاركاً للمتلقي تخيّل الموضوع الموجود في اللوحة.

الفنان عمار خضور الذي قدّم أربعين لوحة في المعرض بدأ مشروعه منذ أربع سنوات وشارك في ورشات عمل المركز وحاول من خلال لوحاته أن ينقل تفاصيل من الجدران والأسطح المعدنية والتشكيلات اللونية التي يصادفها في الطريق، لإعطاء اللوحات الفوتوغرافية حقها كلوحة فنية بعيداً عن الاستسهال في التعاطي معها كما درجت عليه العادة مع هذا الفنّ التقني.

وقال خضور: مشروعي هو الذي اختارني، وكانت أداتي هي الكاميرا. وخلال أربع سنوات عملت على بحث تشكيليّ وتكوينات أصادفها هي مهملة من غالبية الناس حيث أقوم بتجسيدها عبر لوحة تجريدية كاملة ومتوزانة. لافتاً إلى أن فكرة مشروعه تحويل الشيء المهمل إلى موضوع نقاش تشكيليّ وهي فكرة مهمة بالنسبة إليه كبداية.

الفنان جلال الدين جبري تخرج من قسم الاتصالات البصرية في كلّية الفنون الجميلة هذه السنة، وقدّم ثلاثين عملاً فوتوغرافياً بأسلوب تجريديّ. معتمداً اللونين الأبيض والأسود في غالبية الأعمال، لخلق تشكيلات مموّهة تحكي حالات إنسانية متنوّعة في محاولة للبحث عن قيم فنية فلسفية ذات أبعاد إنسانية.

وقال جبري: يساعدني التصوير في إخراج ما في داخلي بطريقة تشكيلية فنية. ومشروعي اليوم يحكي عن حالات إنسانية عامة بمعزل عن خصوصية الأسماء المحدّدة لكلّ عمل من خلال إسقاطات يلتقطتها المشاهد لتعكس إحساساً داخلياً لديه عبر تفاصيل تجذبه دون غيره، حيث اخترت لهذا المشروع عنوان «أوهام».

وأوضح جبري إن لجوءه إلى هذا الأسلوب كان هروباً من عالم اللون لتجسيد الشكل والظلّ والنور للتعبير عن الحالات الإنسانية. مبيّناً أنه يعمل حالياً بمشروع جديد ومختلف يقدّم اللون كعنصر أساس في تكوين اللوحة يحكي عن حالات إنسانية ونفسية متعدّدة. مؤكداً أهمية انطلاقته كفنان في هذا المعرض من المركز الوطني للفنون البصرية، ودور ورش العمل التي يقيمها المركز للمواهب والتجارب الفنية الشابة.

التشكيلي بشير بشير مدير صالة الرواق رأى أن إقامة معرض تصوير ضوئي لفنانين شباب متميزين، يعدّ خطوة مهمة وضرورية في الحركة التشكيلية السورية.

ورافقت المعرض مجموعة من المقطوعات الموسيقية أدّتها فرقة «مخمل» على أنغام هادئة أشاعت أجواء تناغمت فيها الصورة مع النغم الموسيقي، وساعدت في خلق حالة من الانسجام بين الحضور والأعمال المعروضة.